

1- الدبلوماسية في المجتمعات البدائية

يرجع تاريخ الدبلوماسية إلى أقدم العصور فحتى أقدم المجتمعات البدائية كانت تقيم العلاقات وتوفد عنها ممثلين لإجراء المفاوضات في بعض المناسبات فعلى الرغم من أن الحرب بين الشعوب القديمة كانت أمراً طبيعياً إلا أنه كان يتخلل تلك الحروب فترات معينة من التوقف يتقابل فيها ممثلوها للمساومة (المفاوضات) في شروط حل النزاعات أو إنهاء الحرب، وحتى تكوين تحالفات ضد بعضها.

2- الدبلوماسية في الشرق القديم

المنتبع لتاريخ شعوب الشرق التي أوجدت هذه الحضارات العريقة يجد أن عقد المعاهدات والتحالفات كانت من الأمور المألوفة وكانت تعقد لعدد من المناسبات من أهمها معاهدات الحرب والصداقة بينها ومعاهدات الجوار وغيرها وتطرقوا فيها إلى قواعد قبول وتسليم اللاجئين ومن أمثلتها معاهدة ناران سن عام 2500 ق.م في وادي الرافدين، والاتفاق بين مصر وبابل سنة 1450 ق.م، ومعاهدة قادش عام 1278 ق.م في وادي النيل لاستعادة العلاقات الودية بين فرعون مصر وملك خيتا ومن بين ما نصت عليه نجد: (منح أهمية للمبعوثين، ظهور مبادئ مثل الاحترام المتبادل لأراضي الطرفين، وصيانة التحالف والدفاع المشترك، عدم النكت بالعهود للطابع الديني الذي صبغت به المعاهدة).

كما عرفت الحضارات القديمة في بلاد الصين والهند ممارسات دبلوماسية متقدمة فكانت ترسل وتستقبل المبعوثين بغرض استقصاء المعلومات السرية وإعداد الترتيبات لإيجاد الحلول للمشاكل عن طريق التفاوض والوصول بعدها إلى اتفاقيات، كما كانت هذه الحضارات تقوم بالتفاوض أثناء الحروب بهدف الوصول إلى عقد معاهدات الصلح والسلام. ففي الهند القديم كان لقانون مانو منذ القرن 10 ق.م الأثر الجلي في تحديد الفلسفة التنظيمية لمفهوم الدبلوماسية، حيث كان له عداً للأجانب وبرزت أفكاره فيما يلي: أن من يتولى العمل الدبلوماسي كسفير يجب أن يكون يتمتع ببعض القواعد الدينية، حسب المادة 65 من القانون نفسه فأعلان الحرب والسلام يكون على عاتق السفير، يكون للسفير استعدادات فطرية من ذكاء وفطن وكياسة، لمساعدته على الإلمام بالآخرين. أما في الصين القديم كان لكونفوشيوس في القرن 06 ق.م الأثر الكبير في بلورة الفلسفة التنظيمية لمفهوم الدبلوماسية، حيث نص على أسس يتم بموجبها اختيار السفير منها تمتعه باستعدادات فطرية وأخرى مكتسبة على أساس الكفاءة.

3- الدبلوماسية في أوروبا القديمة.

أ- الدبلوماسية عند اليونان (الإغريق): يجادل الكثير من المفكرين أن الدبلوماسية المنظمة بدأت مع نشوء الدولة المدنية في اليونان، فقد أوجد نظام الدولة المدنية المئات من المدن المتجاورة ذات المصالح المشتركة التي كان عليها أن تتبادل المندوبين بينها لتأمين هذه المصالح، وقد أوجبت هذه الضرورة (حماية المصالح لان حياة كل هذه المدن متوقف على حد كبير على مدى تعاونها مع غيرها في المجالات الحيوية) إيجاد نظام وقواعد عامة لتنظيم العلاقات الدبلوماسية بينها ولتمثيل والتفاوض الدبلوماسي لتسري على جميعها فكانت تبعث إلى جاراتها مواطنيها الممتازين الذين يستطيعون تمثيلها خير تمثيل، وقد اشترط اليونانيون في سفرائهم شروط معينة كفن الكلام والخطابة والدهاء والذكاء، بالإضافة إلى الشروط نجد قواعد حرمة المبعوثين الدبلوماسيين، وحسن الجوار وقواعد قبول وتسليم اللاجئين السياسيين، كما ابتدعوا كذلك طريقة عقد المؤتمرات الإقليمية بهدف التوصل إلى مبادئ عامة جديدة تحفظ المصالح المشتركة وتلزم الأعضاء تطبيقها وفرض عقوبات على

مخالفيها (اليونانيين اسهموا في نشر فكرة التفاوض الدبلوماسي بنوعيه الفردي والجماعي -المؤتمرات-). وعموما تميزت الدبلوماسية عند اليونانيين بمجموعة مميزات نوجزها فيما يلي:

✓ انعدام الدبلوماسية الدائمة فالمبعوث الدبلوماسي يعين لمدة زمنية محددة، ولقضية محددة.

✓ يعين المبعوث الدبلوماسي من قبل الجمعية العامة لدولة المدينة.

✓ يتمتع المبعوث الدبلوماسي بحصانة وامتيازات خاصة.

✓ يمنح لهم تراخيص سفر هي الضامن لنفقاتهم.

✓ لم يحظى المبعوث الدبلوماسي بالثقة المطلقة، لهذا كان لا يرسل وحده بل جماعة من الأفراد.

✓ يجب على المبعوث الدبلوماسي أن لا يقبل الهدايا في فترة القيام بمهامه في البلد المرسل إليه.

✓ كان للدبلوماسية اليونانية فيما بعد الأثر الكبير في ظهور الفلسفة التنظيمية للدبلوماسية الدائمة.

ب- الدبلوماسية عند الرومان/ بالرغم من انتقال التراث الدبلوماسي من الإغريق إلى الرومان إلا أنه لم يستفاد منه ولم يطور، وذلك بالنظر إلى أن طبيعة الرومان لم تكن ذات استعداد لفن التفاوض، بل على العكس من ذلك فقد كان من أولويات الامبراطورية الرومانية السيطرة (الاعتماد على القوة وليس الدبلوماسية) والتي استمرت قرونا عدة على الشعوب الأخرى، وهي سيطرة قامت على الأسس العسكرية الخشنة الخالية من الأساليب الدبلوماسية (أحسن ما ابتدعه هو مبدأ سحق خصمهم العنيد والصفح عن يخضع لهم). وحتى عندما استخدمهم للدبلوماسية في أواخر عهد إمبراطوريتهم فقد استخدموها عكس ما جاء به الإغريق، فلغرض نشر نفوذهم وهيمنتهم، وإثارة المنافسة بين جيرانهم بهدف إخضاعهم جميعا وسهولة التغلب عليهم في النهاية، واستخدموا الدهاء والمال لشراء صداقة الشعوب، ولهذا كان يشترطون في مبعوثيهم الدهاء وقوة الملاحظة لكشف نقاط ضعف الشعوب المرسلون إليها لخلق المنافسة بينهم، وهذه الطرق أكسبت الدبلوماسية سمعة سيئة وأوصلتها إلى مستوى منحط في كامل أوروبا في القرون الموالية، وعليه فالدبلوماسية الأوروبية حين أثبتت وجودها لأول مرة كمهنة متميزة لم تكن ذات مستوى عال، فالدبلوماسيون في القرنين 16 و17 كثيرا ما كانوا سببا في الريبة التي عاناها من خلفهم في المهنة، فقد رشا الدبلوماسيون في هذين القرنين رجال البلاط، ودبروا المؤامرات ومولوها وشجعوا الفتن وتدخلوا في الشؤون الداخلية للبلاد المرسلون إليها بطرق هدامة على درجة قصوى، فقد كذبوا وتجسسوا وسرقوا... وعموما يمكن القول أن الدبلوماسية الرومانية كان لها مميزات هي:

الفلسفة الأساسية في ممارسة الدبلوماسية هي القوة.

تتكون البعثة الدبلوماسية من مجموعة أفراد.

يتمتع المبعوث الدبلوماسي بحصانة وامتيازات خاصة